المعينيين في بلاد واسعة[1] وراء تجارتهم حتى بعد سقوط دولتهم بزمن طويل محتفظين بنشاطهم الاقتصادي كما عثر على كتابات معينية في منطقة لور والوركاء في العراق[2].

---

١ ـ صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب ص٢٠.

٢ ـ Philpy. The back ground of Islam, P. 42.

السبأيين الذين كانوا يعاهدونهم - على الطريق التجاري الذي تسلكه القوافل التجارية، وكانت ترابط معهم حاميات عسكرية للحماية وجاليات جنوبية من التجار، كما كانت تقيم معهم جالية من الافريقيين الكوشيين الذين كانوا يمارسون التجارة مع المعينيين أو السبأيين بحكم الجوار[1].

وكانت الظروف الدولية أنذاك قد ساعدت حكام معين على تثبيت ملكهم ومد نفوذهم التجاري في منطقة الشرق الاوسط، ففي مصر لم يتمكن ملوك الاسرة الحادية والعشرين الضعفاء من التدخل في شؤون الجزيرة العربية، وفي العراق كان يحكم بابل ملوك ضعفاء وفي آشور كان تجلات فلأسر منشغلا في حروبه في شمال العراق وقد أدى هذا التوسع الى احتكاك المعينيين بآشور والفينقيين[2].

وقد ادى اشتغال المعينيين بالتجارة المامهم بالكتابة وتدوين الحسابات التجارية فاقتبسوا الأبجدية الفينيقية. لسهولة استعمالها وقرب تناولها الى الحرف المسمارية فدونوا بها لغتهم، وتنوعت تلك الابجدية على مر الاجيال حتى صارت الى الحرف المسند المشهور[3] وعثر على كتابات معينية في منطقة الجيزة في مصر، وفي جزيرة ديلوس من جزر اليونان يرجع عهدها الى القرن الثاني قبل الميلاد، مما يدل على انتشار

---

١ - موسل: شمال الحجاز الدكتور عبد المحسن الحسني طبعة الاسكندرية ١٩٥٢ ص٨٧ - ٨٨.

٢ - صالح العلي محاضرات في تأريخ العرب ص٥١٩ مبروك - عصر ما قبل الاسلام ص٣٥ـ ٥٤.

٣ - جرجي زيدان: العرب قبل الاسلام ص١٣٣.

كانت اسماؤهم تدون في سجلات المدينة أو المعابد، ويذكرهم المؤرخون في وثائقهم، حتى ان بعض الملوك كانوا يؤرخون توليتهم ويحددونها بذكر الرئيس الذي كان قائما أنذاك[1].

أما عن نظام الضرائب في معين، فتدل النقوش انها كانت تنقسم الى ثلاثة انواع[2]:

١ ـ ضرائب تعود جبايتها الى خزانة الملك.

٢ ـ ضرائب تعود جبايتها الى المعابد، وهذه نوعان: نوع يعرف باسم أكرب وهي الضرائب التي تقدمها القبائل تقربا للالهة، ونوع آخر أجباري كان يفرض على المواطنين يقال له: العشر.

٣ ـ ضرائب تعود جبايتها الى المشايخ والحكام.

الحياة الاقتصادية:

مارس المعينيون التجارة، فسيطروا على الطرق التجارية بين الشمال والجنوب وامتد نفوذهم السياسي الى الحجاز شمالا، فدخلت معان، وديدن، تحت النفوذ المعيني[3].

وكان الطريق التجاري البري الذي يربط بين اليمن والشام ومصر والذي يمر بغربي تيماء تحت سيطرة المعينيين تارة والسبأيين تارة أخرى، الأمر الذي استلزم مرابطة طائفة من الحكام المعينيين او

---

١ ـ صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب ص٢٠

٢ ـ جواد علي: العرب قبل الاسلام ج١ ص٤٠٦.

٣ ـ سالم: دراسات ص١٤٤.

أول عهد مملكة معين بهذه الاسرات قد يرجع الى عام ١١٢٠ق.م حيث حكمت الاسرة الأولى، وكان عدد ملوكها أربعة[١].

ويظهر من دراسة النقوش المعينية ان نظام الحكم في دولة معين كان ملكيا وراثيا مقيدا، وقد يشارك الابن اباه في الحكم، وهناك مجلس استشاري يعاون الملك في الحكم ويحد من سلطانه[٢].

ومن ملوك المعينيين (اليفع وقة) الذي عثر على اسمه في الخربة السوداء، وهي مدينة (نشان) في الكتابات المعينية، وذكر معه اسم ابنه وقة ايل صدق الذي خلفه في حكم اليمن. كما ورد اسم اليفع وقة مع اسم ابن له يدعى، ابو كرب يثع، في نقش عثر عليه في ديدن (العلا). ومن ملوكهم ايضا الملك "اب يدع يثع، ووقة أيل ريام، ويثع ايل صديق، ويثع ايل ريم، وابنه تبع كرب، وفي عهد هذين الاخرين ضعفت الدولة المعينية وخضعت لنفوذ السبأيين[٣]. وكانت هناك مجالس تعرف بأسم: مسود، تدير شؤون الحكم في المدن المعينية في السلم والحرب، وتشابه دار الندوة في مكة في عصر ما قبل الاسلام[٤] وتتمتع هذه المدن باستقلال ذاتي، ويرأس مجلس شيوخها رئيس ينتخب لمدة سنة واحدة قابلة للتجديد، وكان لهؤلاء الرؤساء مكانة سامية، فقد

---

١ ـ جرجي زيدان: العرب قبل الاسلام، فؤاد حسنين: استكمال كتاب التاريخ العربي القديم ص٢٧٠. سالم: دراسات ص١٤٣.

٢ ـ زيدان: العرب قبل الاسلام ص١٣١، صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب ص٢٠.

٣ ـ جواد علي: تاريخ العرب قبل الاسلام ج١ ص٣٨٧ ـ ٣٩٣، فؤاد حسنين: استكمال التاريخ العربي القديم ص٢٧٢ ـ ٢٧٣.

٤ ـ نفس المرجع: تاريخ العرب قبل الاسلام ج١ ص٤٠٥.

(١)
الدولة المعينية

تعتبر الدولة المعينيـة من أقدم الدويلات التي قامت ببلاد اليمن قبل الاسلام، وقد ورد اسم المعينيين في المصادر اليونانية والرومانية، فسماهم استرابون وديودور الصقلي وبلنيوس Minaei، وذكر استرابون أن عاصمتهم مدينة "قرناو" "Karna"[1].

ولم يكن العلماء يعرفون معين ولا اكتشفوا انقاضها، فذهب بعضهم الى أن لفظة Minaei نسبة الى جبل منى قرب مكة، حتى وفق المستشرق جوزيف هاليفي الى ارتياد بلاد الجوف الجنوبي شرقي صنعاء، واكتشف انقاض معين، وقرأ أسمها عليها بالمسند وبجانبها براقش، فذهب هاليفي ووافقه في ذلك جلازر أن معين هي البلد التي ينتسب اليها المعينيون، وان هذه المدن التي اكتشفها هاليفي في الجوف هي مدن معينية ولا سيما براقش التي كانت تعرف باسم "ثيل"[2].

وبفضل الدراسات العلميـة التي قام بها "مولر" على النقوش التي اكتشفها جلازر وجوسن، استطعنا معرفة الكثير عن تاريخ وملوك هذه الدولـة، وقد حصر مولر عدد الملوك الذين قرأ اسماءهم في هـذه النقوش، فذكر "٣٦" اسما موزعين على خمس امبراطات، في حين ذكر "قلبي" أسماء "٢٢" ملكا نظمهم في خمس "عشرات"، وذهب الى القول بأن

---

١ ـ سالم: دراسات في تاريخ العرب ص١٤٢.

٢ ـ جرجي زيدان: العرب قبل الاسلام ص١٣٠.

الفصل الثالث

الدويلات العربية التي قامت ببادية الشام والعراق

١ ـ دولة الانباط

٢ ـ مملكة لحيان

٣ ـ دولة تدمر

٤ ـ دولة الحضر

٥ ـ دولة الغساسنة

٦ ـ دولة المناذرة

٧ ـ مملكة كندة

(١)
دولة الانباط

كانت بلاد الشام وجنوب فلسطين مركزاً لهجرات متتابعة من جنوب الجزيرة العربية منذ أوائل التاريخ المسيحي مثل قبيلة تنوخ وقبيلة بني سليح وآل جفنة، حتى ان قرية (بوريكة) الواقعة باللجة كانت تعرف في العصر الروماني باسم (بوريكة السبئيين)[١]. الا ان استقرار القبائل العربية في بادية الشام يرجع الى عصور سابقة للعصر الروماني، ومن تلك القبائل العربية التي استقرت في جنوبي فلسطين شعب الأنباط، الذي عرف عند اليونان باسم Nabataei أو النبط[٢].

وقد نشأت هذه الدولة في المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة العرب. في الموضع الذي عرف باسم: بلاد العرب الحجرية أو الصخرية (Arabiapctraca). وقد اجمع العلماء والباحثون على أن النبط هم شعب من العرب، وان استعملوا الارامية في كتاباتهم فأغلب اسماءهم هي اسماء عربية خالصة مثل حارثة ومغيرة وجذيمة وقصي وكليب وعدي وعمر وكعيب[٣]. وشارك النبط العرب في ديانتهم فعبدوا بعض الاصنام المعروفة عند عرب الحجاز، مثل "ذي الشرى"

---

١ ـ رينيه ديسو : العرب في سوريا قبل الاسلام، ص١٠.

٢ ـ سالم: تاريخ الدولة العربية بيروت ١٩٧١، ص١٠١.

٣ ـ صالح العلي ـ محاضرات في تاريخ العرب ص٤٣.

المعروف عندهم باسم: (دو شرى) واللات "الت" ومناة: "منوتن" وهبل "هبلو".

ومن ناحية أخرى نجد أن المؤرخين المختصين بشؤون الانباط وتاريخهم ومنهم المؤرخ اليهودي: "يوسفوس" قد اطلقوا اسم (Arabia Petrea) والتي تعني العربية الصخرية على بلاد الانباط[1].

ويرى بعض الباحثين ان الانباط ليسوا عربا وانما هم من الاراميين. بحجة انهم كانوا يستعملون الآرامية في كتابتهم، وأن تشابه الاسماء واشتراكها بين الانباط والعرب من ناحية وامتزاج الالفاظ العربية في اللغة الآرامية من ناحية أخرى، هو نتيجة الاختلاط والاتصال بين الشعبين بحكم رابطة الجوار[2].

الا أن بعض الباحثين العرب ردوا على هذه المزاعم بخصوص أصل النبط، فذكروا أن هناك اقوام من غير النبط ومن غير بني ارم كتبوا بلغة الاراميين وبقلمهم الا أن أحد من المؤرخين لم يقل ان جميع من كتب بلغة الاراميين هم من الاراميين. فالارامية كانت قد تغلبت على اكثر لغات الشرق الادنى. واصبحت لغة الكتابة والتدوين قبل الميلاد بعدة قرون[3].

أما ما جاء عن النبط في كتب الاخباريين العرب فلا يعدو كونهم جيل كانوا ينزلون البطائح بين العراقيين، وانهم سموا بهذا الاسم لكثرة

---

١ ـ جواد علي: تاريخ العرب قبل الاسلام ج٣ ص٩، سالم: دراسات في تاريخ العرب ٢٢٢.

٢ ـ ولفنسون: ص١٣٥.

٣ ـ جواد علي: تاريخ العرب ج٣ ص١٠٩.

النبط عندهم وهو الماء[1].

ويرى ولفنسون ان النبط الذين قصدهم الاخباريون العرب، هم بقايا القبائل القديمة الذين كانوا ينزلون البطائح، ومنهم مترسبات الاراميين في العراق والشام، قبيل الاسلام وفي العصر الاسلامي، وكان هؤلاء يتكلمون بلهجات عربية ولكن برطانة اعجمية ظاهرة[2].

أما عن الموطن الاصلي الذي انحدر منه النبط فالراجح انهم كانوا يسكنون بادية الشام وجنوب سورية في القرن السادس قبل الميلاد تقريبا. ثم رحلوا في هجرة جماعية نحو الغرب (أي نحو أرض الادوميين) واغتصبوا ارضهم المطلة على ساحل البحر الاحمر، فاضطر الادوميون الى الرحيل نحو الشمال، واستقروا في المناطق الخصيبة المشرفة على البحر المتوسط وكان ذلك في حدود سنة ٥٨٧ق.م تقريبا[3].

وتتميز بلاد الانباط بأنها أرض جبلية قليلة المياه تكثر فيها المرتفعات الصخرية الوعرة. واتخذ الانباط (البتراء) عاصمة لهم وقد وصفها استرابون فقال: انها مدينة صخرية قائمة في مستوى من الارض تحيط به الصخور كالسور المنيع، وليس وراءها غير الرمال المحرقة[4].

---

١ ـ تاج العروس ج٥ ص٢٢٩. لسان العرب ج٩ ص٢٢٨.

٢ ـ ولفنسون: ص١٣٥، جواد علي ج٣ ص١٠و١١.

٣ ـ زيدان: العرب قبل الاسلام ص٨٢. جواد علي: العرب قبل الاسلام ج٣ ص١٥.

٤ ـ زيدان: العرب قبل الاسلام ص٨٣.

وقال عنها الاصطخري: (انها مدينة بقرب البلقاء، وهي صغيرة منحوتة بيوتها كلها وجدرانها من صخر كأنها حجر واحد)[1] وتعرف البتراء في المصادر العربية بأسم الرقيم، وقيل أنها المدينة التي أقام فيها أهل الكهف[2].

ملوك النبط:

يعد الحارث الأول أريتاس الأول Aretas (١٦٩ق.م ـ٤٦ق.م) أول ملوك النبط الذين ورد ذكرهم في كتب التاريخ وفي الفصل الخامس من أسفار المكابيين. وكان الحارث الأول معاصرا لانطيوخوس الرابع السلوقي ملك سوريا، وبطليموس فيلوماترا ملك مصر[3].

وقد دخل الحارث الأول في حلف مع جيرانه المكابيين بني حشمناي ضد السلوقيين، فنجح يهوذا المكابي في احتلال بيت المقدس في سنة ١٦٨ق.م[4].

ومن ملوك الانباط ايضا الحارث الثاني (١١٠ق.م ـ ٩٦ق.م)، الذي عرف باسم ابروتيموس[5]. وقد كانت العلاقات مع المكابيين في عهده حسنة، وان دولة الانباط كانت على درجة كبيرة من القوة[6].

---

١ ـ الاصطخري: المسالك والممالك ص٤٧ ط مصر ١٩٦١ تحقيق محمد جابر عبد العال.

٢ ـ ياقوت الحموي، معجم البلدان مجلد ص٦٠٣.

٣ ـ فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج١،بيروت ١٩٥٨ ص٤١٩.

٤ ـ تاريخ يوسيفوس، طبعة صادر بيروت، ص٧٠.

٥ ـ G. A. Cooke, Ency. of Religion and Ethic, Artiole Nabataei, Vol. 9, P. 121. (1630).

٦ ـ جواد علي: العرب قبل الاسلام ج٣ ص٢٦.

أما أشهر ملوك الانباط على الاطلاق فهو: الحارث الثالث (٨٧-٦٢ق.م). ويقترن اسم الحارث بفتوحات كبرى وانتصارات هيأت للانباط ان يوسعوا مناطق نفوذهم على حساب السلوقيين واليهود في آن واحد. لذلك فان المؤرخين يعتبرون الحارث الثالث المؤسس الحقيقي لدولة الانباط. ويعرف عند المؤرخين بـ"رب ايل الأول"[1].

وقد تمكن الحارث الثالث من هزيمة السلوقيين بقيادة انطيوخوس هزيمة نكراء في سنة ٨٦ق.م في معركة عنيفة حدثت قرب يافا سقط فيها ملك السلوقيين صريعا. وبذلك أحاطت حكومة الحارث الثالث بمملكة المكابيين من الشرق والجنوب[2]. واستغل الحارث انتصاره هذا فواصل زحفه الى دمشق بناء على رغبة أهلها فدخلها دون مقاومة سنة ٨٥ق.م. وقد رحب به أهل دمشق وسموه: محب الهلينيين (Philhllenic)[3] ثم اشتبك مع اليهود في معركة حدثت قرب "اللد" فمزق جيشهم وارغمهم على توقيع معاهدة للصلح وفقا لشروطه التي املاها عليهم[4].

ولما جاء القائد الروماني بومبي الى الشرق. حاول احتلال بلاد الانباط. فأرسل حملة ضدهم الا أن الحارث استطاع ان يقف بوجه تلك

---

١ ـ زيدان: تاريخ العرب قبل الاسلام ص٨٦، جواد علي: ج٣ ص٢٥٥.

٢ ـ جواد علي: تاريخ العرب ج٣ ص٢٦.

٣ ـ صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب ص٤٠.

٤ ـ سالم: دراسات في تاريخ العرب ص٢٣٢.

الحملة وان يحتفظ باستقلال بلاده رغم انه خسر نفوذه في سوريا[1].

وفي عام (٦٦ق.م) قام الحارث بمهاجمة مملكة يهوذا فجرد جيشا قوامه خمسون الف جندي، واجبر ارسطو بولس على الفرار الى بيت المقدس[2]، فأرسل الحارث وراءه فرقة من الجيش حاصرت عاصمة اليهود زكادت تفتحها لولا تدخل الرومان آنذاك، فاضطر الى رفع الحصار والانسحاب الى بلاده[3].

وخلف الحارث الثالث في حكم الانباط ابنه عبادة الثاني (٦٢-٤٧ق.م). وعثر على عملات من الفضة من فئة الدراخما ضربت باسمه وقد امتد نفوذ الرومان في عهده الى الشرق، فاستولوا على آسيا الصغرى وسورية ومصر، وانتزع الرومان ما كان قد استولى عليه الحارث الثالث في الشام من قبل[4].

وبعد عبادة الثاني جاء الى الحكم مالك الاول (٤٧-٣٠ق.م) وفي عهده أخذ الانباط يسعون للتقرب من الامبراطورية الرومانية التي استولت على آسيا الصغرى ثم ضمت مصر وسوريا فاشتركوا بفرقة من الفرسان لمساعدة يوليوس قيصر في حملته على الاسكندرية[5]. وفي عهد مالك الأول تمكن الرومان من اسقاط الأسرة المكابية اليهودية في

١- صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب ص٤١.

٢- جواد علي: العرب قبل الاسلام ج٣ ص٢٧.

٣- سالم: دراسات في تاريخ العرب ص٢٣٣.

٤ - جواد علي: تاريخ العرب ص٣٠، سالم: تاريخ لدولة العربية ص١٠٩.

٥ - صالح العلي: تاريخ العرب ص٤١.

بيت المقدس ووضعوا مكانها الأسرة الهيرودية الموالية لهم[1].

ثم خلف مالك الأول في الحكم ابنه عبادة الثالث (٣٠-٩ق.م) فسار على سياسة ابيه في التقرب الى الرومان. فساعد آليوس جاليوس في حملته ضد اليمن وامدهم بالادلاء. وبالرغم من أن هذه الحملة لم تحقق اهدافها لاسباب ارجعها الرومان الى سوء نية الادلاء الانباط وتغريرهم بالجيش الروماني. فان العلاقات بين الامبراطورية الرومانية والانباط ظلت حسنة واستمر النفوذ النبطي في جنوب فلسطين وشرقي الاردن وجنوبي شرقي سوريا وشمال الجزيرة[2].

وبلغت دولة الانباط ذروة عظمتها وازدهارها في عهد الحارث الرابع (٩ق.م -٤٠م). وكان عهده عهد رخاء وسلام. وخلف الحارث ابنه مالك الثاني (٣٠م - ٧١م). الذي ساعد الامبراطور الروماني طيطس في حملته ضد بيت المقدس في سنة ٦٧م. فاشترك بجيش عدته الف من الفرسان وخمسة آلاف من المشاة[3].

وآخر ملوك الانباط مالك الثالث (١٠١ - ١٠٦م)، وفي عهده قضي الامبراطور الروماني تراجان على دولة الانباط، فأرسل في سنة ١٠٦م حملة عسكرية بقيادة كورنليوس بالما نائبه في دمشق الى البتراء فتمكن من الاستيلاء عليها وضمها الى مقاطعات الدولة الرومانية (الكورة العربية) التي أقامها الرومان لتحمي سوريا من هجمات البدو وجعلوا

---

١ - سالم: تاريخ الدولة العربية ص١١٠.

٢ - فيليب حتي: تاريخ العرب، ص٥٦.

٣ - نفس المرجع: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج١ ص٤٢٣.

الحملة وان يحتفظ باستقلال بلاده رغم انه خسر نفوذه في سوريا[1].

وفي عام (٦٦ق.م) قام الحارث بمهاجمة مملكة يهوذا فجرد جيشا قوامه خمسون الف جندي، واجبر ارسطو بولس على الفرار الى بيت المقدس[2]، فأرسل الحارث وراءه فرقة من الجيش حاصرت عاصمة اليهود زكادت تفتحها لولا تدخل الرومان آنذاك، فاضطر الى رفع الحصار والانسحاب الى بلاده[3].

وخلف الحارث الثالث في حكم الانباط ابنه عبادة الثاني (٦٢-٤٧ق.م). وعثر على عملات من الفضة من فئة الدراخما ضربت باسمه وقد امتد نفوذ الرومان في عهده الى الشرق، فاستولوا على آسيا الصغرى وسورية ومصر، وانتزع الرومان ما كان قد استولى عليه الحارث الثالث في الشام من قبل[4].

وبعد عبادة الثاني جاء الى الحكم مالك الاول (٤٧-٣٠ق.م) وفي عهده أخذ الانباط يسعون للتقرب من الامبراطورية الرومانية التي استولت على آسيا الصغرى ثم ضمت مصر وسوريا فاشتركوا بفرقة من الفرسان لمساعدة يوليوس قيصر في حملته على الاسكندرية[5]. وفي عهد مالك الأول تمكن الرومان من اسقاط الأسرة المكابية اليهودية في

١- صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب ص٤١.

٢- جواد علي: العرب قبل الاسلام ج٣ ص٢٧.

٣- سالم: دراسات في تاريخ العرب ص٢٣٣.

٤ - جواد علي: تاريخ العرب ص٣٠، سالم: تاريخ لدولة العربية ص١٠٩.

٥ - صالح العلي: تاريخ العرب ص٤١.

من صيدا وصور، واللؤلؤ من الخليج العربي، والخزف من روما، بالاضافة الى منتجات بلاد النبط من ذهب وفضة وزيت السمسم[1].

أما في مجال الزراعة فقد قام النبط بحفر الابار وشق القنوات واقامة المشاريع الزراعية. فحولوا بعض المناطق الصحراوية الى اراضي زراعية خصبة[2] وفي الصناعة اشتهر النبط بالاواني الفخارية التي كانت لاتقل في الجودة والاتقان عن الخزف الصيني آنذاك[3].

وأهم آثار النبط: خزنة فرعون: وهو بناء محفور بالصخر، والمسرح الذي يفضي الى سهل فسيح تتناثر فيه الكهوف الطبيعية أو المحفورة في الصخر ويتسع هذا المسرح لـ ٤٠٠٠ متفرج[4]. ومن آثار النبط ايضا البناء المعروف بالدير وهو بناء فخم عرضه ٥٠ متراً وارتفاعه ٤٥م ويرجع هذا الدير الى القرن الثالث الميلادي[5].

١ـ صالح العلي: تاريخ العرب ص٤٣.

٢ـ صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب ص٤٢.

٣ـ سالم دراسات في تاريخ العرب ص٢٤٢.

٤ـ جواد علي: تاريخ العرب قبل الاسلام ص٥١.

٥ـ سالم: دراسات في تاريخ العرب ص٢٤٤.

عاصمتها (بصرى) التي ورثت البتراء اقتصاديا وسياسيا[1].

حضارة الانباط وأثارهم:

كانت حضارة الانباط حضارة مركبة، فهي عربية في لغتها آرامية في كتابتها، سامية في ديانتها ويونانية رومانية في فنها وهندستها المعمارية ولكنها حضارة عربية في جوهرها[2].

كان الانباط وثنيون يعبدون الاصنام، فشاركوا في هذه العبادة عرب الحجاز ويعد (دوشرى) الاله الرئيسي عند النبط، وقد شاعت عبادة هذا الاله في البتراء خاصة ثم انتشرت الى باقي مناطق البلاد، واقام النبط للالهة العزى معبدا خاصا على مكان مرتفع من البتراء. وكانوا يحجون الى البتراء تقربا من الاله (دوشرى) وزيارة معبده في المدينة[3].

وحضارة الانباط تقوم أساساً على التجارة، فالبتراء كانت مركزاً تجارياً مهماً بين الشرق والغرب والجنوب والشمال،وكانت لها السيطرة على الطرق التجارية ما بين غزة وبصرى، وما بين دمشق وأيلة. وقد امتد نشاطهم التجاري الى سلوقية والاسكندرية ورودوس وموانيء سورية وأهم السلع التي كان الانباط يتاجرون فيها: الافاوية من (اليمن)، والحرير من الصين والحناء من عسقلان، والزجاج وصبغ الارجوان

---

١ ـ صالح العلي: تاريخ العرب ص٤٢. سالم: دراسات في تاريخ العرب ص٢٣٨.

٢ ـ فيليب حتي: تاريخ سورية ج١ ص٤٢٦.

٣ ـ جواد علي: تاريخ العرب ج٣ ص٤٩.

الفصل الرابع

مدن الحجاز

مكة - يثرب - الطائف

مملكة ميسان

هي مملكة عربية قديمة ظهرت في جنوب العراق في (حـ ٢ ق.م) وذلك بعد نهاية أمبراطورية الاسكندر المقدوني، وتذكر المصادر أن سكان ميسان الاصليين عرباً سكنوا هنالك منذ أيام الامبراطورية الاشورية نزحوا أصلاً من شبه الجزيرة العربية الى بلاد العراق وبلاد الشام وأستقروا في مواقع مختلفة منذ أزمان بعيدة، وأستطاعوا أن يكونوا مملكتهم العربية في ظل الدولة الاخمينية، ولم تكن دولة تابعة لهم الا بالاسم، ويذكر أن الاسكندر المقدوني لما وصل الى المنطقة بعد قضائه على الاخمينيين وصل الى رأس الخليج العربي وجد أن أهل هذه المنطقة عرباً ويحكمهم أمراء عربية مستقلاً بحدود عام ٣٢٤ ق م وكان هؤلاء يشغلون ساحل الشرقي للخليج العربي على أمتداده، وتركوا لنا آثاراً تعود الى أيام حكمهم منها (قصر ابن سيسوان) القريب من خور عبد الله حالياً ولقد سمى الاسكندر المقدوني عاصمة لهذه المملكة سماها (خاراكس أو خاراكس Charax) والتي أصبحت ميناءاً مهماً للتجارة بين الشرق والغرب.

وهذه المملكة لكون موقعها في الوقت الحالي قرب المحمرة ويذكر أن الملك (أسياد خينو) هو الذي قام بتأسيسها عام ١٢٧ ق م، والذي لقبه المؤرخ (يوسفيوس) بالعربي أذ أمتد نفوذ هذه الدولة الى الشمال حتى حدود بابل وعيلام

أذ أصبحت تشكل ميناء أمهما في رأس الخليج العربي وسيطرتا على الملاحة البحرية في الخليج العربي وشط العرب ونهر الكارون ونهري دجلة والفرات وقد زارها الامبراطور الروماني تراجان عام (١١٦م) أذ رأى الفن تفادر منها الى الهند، وأصبحت لها قوة عسكرية ملحة، ويذكر أنها سيطرت على مدينة بابل وهزمت العيلاميين واحتلت مدينة عيلام نفسها -

كانت لمملكة ميسان علاقات سياسية في بداية (قرام) مع مملكة (حدياب) في أربيل، أذ كان أحد أمراء حدياب وهو (أزاط) أو (أيزات) والذي قايل أحد التجار اليهود في ميسان أذ أعتنقه بالأيمان باليهودية ولما عاد اليها أصبح ملكا على حدياب (٣٠-٣٦م) وهذا ما ذكره كتاب (تاريخ يهوذا) لمؤلفه (فلافوس جوزيفوس) وظلت مملكة ميسان قائمة حتى أكتسحها من قبل الاشكانيون في عهد ملكهم (متريدتس الرابع) أي في (متريدات) (فرات - ميشان) العاصمة جنوبي المحمرة بحدود (١١ كم) على نهر دجلة ومن ثم دخلت تحت حكم الساسانيين في عهد الملك الساساني (أردشير الأول) عام (٢٢٧م)،

مـدن الحجاز

أهمية بلاد الحجاز:

تعد بلاد الحجاز من أهم اقسام الجزيرة العربية من النـاحيتين الدينيـة والاقتصاديـة، فمـن الناحيـة الدينيـة كـانت بـلاد الحجـاز ملتقـى الاديـان فأنتشـرت فيهـا الـى جـانب الوثنيـة، الديانـات السـماوية كاليهوديـة والمسيحية[1] والحجـاز هـو الموطـن الاول للدعـوة الاسـلامية، فيـد ولـد الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى أرضـه خطـا، وهـو منزل الوحـي ومشرق النور، ومنه انطلقت صيحة الاصلاح ودعوة الاسلام[2].

أما من الناحية الاقتصادية، فقد كان الحجاز جسراً يربط بـلاد الشـام وحوض البحر المتوسط باليمن والحبشـة والصومـال والسـواحل المطلـة على المحيط الهندي، فكان لذلك أعظـم الاثـر فـي قيـام المـدن التجاريـة وازدهارهـا بالحجـاز، والتـي كـانت بمثابـة محطـات تجاريـة علـى هـذا الطريـق التجـاري فـأزدهرت مكـة والطـائف ويثرب، وقـد سـاعد علـى ازدهار هذه المدن ايضاً عـامل آخـر هـو قربهـا مـن الاسـواق التجاريـة المشهورة التي كانت تعقد في الأشهر الحرم، مثل سوق عكـاظ، وسـوق مجنة، وسوق حباشة، وسوق ذي المجاز[3].

---

١ - ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية ج١ ص٧٧،٧٨.

٢ - احمد شلبي: التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ج١ ط مصر ١٩٦٤ ص٥٩،٦٠.

٣ - سالم: دراسات ص٤٨٥ - ٤٩٠.

(١)
مكة

أ ـ الموقع والمناخ: تقع مكة في بطن وادي يعرف ببطن مكة وتشرف عليها الجبال من جميع النواحي وصفها اليعقوبي فقال: (ومكة بين جبال عظام وهي اودية ذات شعاب فجبالها المحيطة بها: ابو قبيس الجبل الاعظم منه تشرق الشمس على المسجد الحرام، وقيقعان وفاضح، والمحصب وثور عند الصفا، وثبير، وتفاحة والمطابخ والفلق والحجون، وسقر. ولها من الشعاب: شعب الحجون، وشعب دار مال الله، وشعب البطاطين، وشعب فلق ابن الزبير، وشعب ابن عامر، وشعب الجوف، وشعب الخوز..)[١].

وكانت المياه بمكة شحيحة، فكان أهلها يشربون من آبار خارجة من الحرم، فيحملون الماء في القرب، ويسكبونه في حياض من أدم بفناء الكعبة ليشرب حجاج البيت، وذكر ابن هشام ان قريشا قبل دخولها مكة كانت تشرب من حياض ومصانع على رؤوس الجبال ومن بئر حفرها لؤي بن غالب خارج الحرم عرفت باسم بن عبد مناف، كانت بظاهر مكة، وينسب المؤرخون الى قصي وهاشم بن عبد مناف، وامية بن عبد شمس، وعدة بطون من قريش حفر آبار كثيرة حول مكة[٢].

وكان لوقوع مكة في وادي غير ذي زرع سببا في اعتماد اهلها على

---

١ ـ اليعقوبي: البلدان طبعة النجف ١٩٥٧. ص٧٤.

٢ ـ ابن هشام: السيرة ج١ ص١٥٦، ١٥٧، ١٥٨ الازرقي: اخبار مكة ج٢ ص١٧٤ ـ ١٧٦.

الاقوات والمحاصيل التي تحمل اليها من المناطق المجاورة وخصوصاً من الطائف والسراة[1].

أما مناخ مكة، فهو قاري حار جداً في الصيف، وكانت السيول الجارفة تهدد المدينة في فصل الخريف، واقدم سيل ورد ذكره هو السيل هو السيل الذي حدث في عهد الجرهميين ودخل الكعبة وهدمها، فأعادت جرهم بناءها، وحدث سيل آخر في عهد خزاعة واحاطت المياه بالكعبة، وعرف ذلك السيل سيل قارة[2]، وقد تنبه الخلفاء الراشدون لهذا الخطر فأقاموا السدود في الاحياء المرتفعة، كما حدث في عهد عمر بن الخطاب (رض) وفي عهد الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان[3].

ب ـ اشتقاق اسم مكة وتفسيره:

وردت آراء وتفسيرات كثيرة حول اشتقاق اسم مكة، فقيل انما سميت كذلك (لازدحام الناس بها من قولهم: قد امتك الفصيل ضرع امه اذا مصه مصا شديدا)، وقيل ايضاً: (انما سميت مكة لان العرب في قبل الاسلام كانت تقول لا يتم حجنا حتى ناءتي مكان الكعبة فنمك فيه أي نصفر صفير المكاء حول الكعبة، وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم اذا كانوا بها، والمكاء بشديد الكاف طائر يأوي الرياض)، وقال أخرون: سميت مكة لانها بين جبلين مرتفعين عليها، وهي في هبطة

---

١ ـ سالم: دراسات ص٤٩٨.

٢ ـ الازرقي: اخبار مكة ج١ ص٤٣، ج٢ ١٣٤.

٣ ـ البلاذري: فتوح البلدان ج١ ص٦٢، الازرقي، ج٢ ص١٣٦.

بمنزلة المكوك، وقيل: (سميت مكة لانها تملك الجبارين أي تذهب تخوتهم)[1].

وورد اسم مكة في جغرافية بطليموس بصيغة ماكورابا (Macoraba) وهو مشتق من الكلمة السبأية (مكرب) أو (مكورابا)[2] التي تعني المقدس، وهو لقب كان يحمله الكهنة في سبأ قبل أن يتحولوا الى ملوك ومن المرجح انها تعني (المقرب الى الله) لانها مدينة مقدسة[3]، ويذهب بروكلمان ان مكة مشتقة من لفظة مكرب او مقرب التي شاع استعمالها في جنوب جزيرة العرب ومعناها الهيكل[4].

ويرى بعض العلماء ان اسم مكة مشتق من الكلمة البابلية (مكا) والتي تعني البيت وهو اسم الكعبة عند العرب[5].

وعرفت مكة بأسماء أخرى منها الذي ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: (أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعاملين)[6]، وقيل ان المقصود ببكة موضع البيت اي الكعبة ومكة تعني القرية نفسها[7]. وقيل ان بكة الكعبة والمسجد، ومكة ذو طوى وهو بطن الوادي وذكر ياقوت أيضاً ان بكة هو موضع البيت ومكة الحرم كله[8].

---

١ ـ ياقوت: معجم البلدان مادة مكة ج٥ ص١٨١ ـ ١٨٢.

٢ ـ فيليب حتي: تاريخ العرب ج١ ص١٤٤.

٣ ـ سالم: دراسات ص٤٩٢.

٤ ـ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ج١ ص٣٣.

٥ ـ جرجي زيدان: العرب قبل الاسلام ص٢٧٥.

٦ ـ سورة آل عمران ٣ آية ٩٦.

٧ ـ النويري: ج١ ص٣١٣.

٨ ـ ياقوت: معجم البلدان ج٥ ص١٨٢.

وكذلك سميت مكة باسم أم القرى في قوله تعالى: (لتنذر ام القرى ومن حولها)[1]، وعرفت باسم معاد والحاطمة لانها تحطم من استخف بها، والحرم، وصلاح، والعرش، والقادس لانها تقدس أي تطهر من الذنوب[2]. والبلد الامين في قوله تعالى: (والتين والزيتون وطور سنين، وهذا البلد الامين)[3]. والبيت العتيق في قوله عز وجل (ليطوفوا بالبيت العتيق)[4]، والبيت المحرم في قوله تعالى: (ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم)[5]. ويستنتج من هذه التسميات ان مكة كانت في أول عهدها مقاماً دينيا ومركزا للعبادة[6].

ج - الحياة الاقتصادية:

كان لموقع مكة على طريق القوافل التجارية ما بين اليمن وبلاد الشام في تدفق المنتجات الشرقية عن طريق الخليج العربي واليمن، ومنتجات مصر والشام عن طريق الشام، فكانت مكة تقوم بدور الوسيط بين عالمين، شأنها في ذلك شأن تدمر بالنسبة للفرس والرومان، وقد سعى المكيون الى التفاوض مع الدول المجاورة لبلاد العرب للحصول على ضمانات لتأمين تجارتهم، فنجح القريشيون في عقد المعاهدات

---

١ - سورة الانعام ٦ أية ٩٢.

٢ - سالم، دراسات ص٤٩٤.

٣ - سورة التين ٩٥.

٤ - سورة الحج ٢٢.

٥ - سورة ابراهيم ١٣.

٦ - فيليب حتي: تاريخ العرب ج١ ص١٤٤.

التجارية مع الرومان والفرس، كما عقدوا معاهدات مماثلة مع أمراء العربِ في الجزيرة وملوك الغساسنة في الشام والمناذرة في العراق[1].

وذكر المسعودي ان زعماء قريش كانوا يفرضون ضريبة على من يدخل مكة من التجار الغرباء عن قريش عرفت بالعشر[2]، وقد نزل عدد من التجار الروم في مكة وأتخذوها داراً مقام لهم وتوافد عليها تجار من الفرس وتحالفوا مع اثريائها، ومنهم من أقام في مكة نظير دفع جزية لحمايته وحفظ امواله وتجارته، وكان تجار الشام يجلبون الى مكة منتجات بلادهم من القمح والزيوت والخمور والمصنوعات، كما حمل اليها تجار الجنوب من بلاد الهند الذهب والاحجار الكريمة والعاج وخشب الصندل والتوابل والمنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والارجوان والزعفران والاتية الفضية والنحاسية، كما كانوا يحملون منتجات افريقيا الشرقية واليمن من العطور والاطياب وخشب الابنوس وريش النعام واللبان والمر والاحجار الكريمة والجلود، ومن البحرين اللآلي واليواقيت[3].

وقد ساعد على احتكار قريش لتجارة الهند والحبشة واليمن اشتباك بيزنطة والفرس في حروب متواصلة، مما عرقل التجارة العالمية المارة بالعراق، وحمل البيزنطيين على الاهتمام بطريق البحر الاحمر الذي كان خارجا عن نفوذ الساسانيين الذين احتلوا اليمن في عهد

---

١ ـ سالم، دراسات ص٥٠٤ ـ ٥٠٥.

٢ ـ المسعودي: مروج الذهب ج٢ ص٥٨.

٣ ـ سالم: دراسات ص٥٠٧ ـ ٥٠٨.

كسرى انو شروان الا ان ذلك لم يقضي على تجارة البيزنطيين لبعد اليمن عن بلاد فارس فبقيت التجارة نشطة بين اليمن والشام عن طريق مكة ولم يكتف المكيون بان تكون مدينتهم ممراً للقوافل بل ساهموا بانفسهم في النشاط التجاري فمدوا تجارتهم الى الاقطار الاخرى في سوريا واليمن والحبشة والعراق[1].

ويرجع الفضل الى هاشم بن عبد مناف في سن رحلتي قريش: رحلة الشتاء الى الشام ورحلة الصيف الى الحبشة[2] وقيل، رحلة الشتاء الى اليمن والحبشة والعراق، ورحلة الصيف الى الشام[3] وذكر اليعقوبي ان تجارة قريش كانت لاتعدوا مكة فكان القريشيون يعانون ضيقاً بسبب ذلك الى أن رحل هاشم الى بلاد الشام، وشاع عنه الكرم، وكان من أحسن الناس واجملهم فذكر لقيصر، فأرسل اليه فلما رأه وسمع كلامه واعجبه وجعل يرسل اليه فقال هاشم: ايها الملك ان لي قوماً، وهم تجار العرب فتكتب لهم كتاباً يؤمنهم ويؤمن تجارتهم حتى يأتو بما يستطرف من آدم الحجاز وثيابه ففعل قيصر ذلك وانصرف هاشم، فجعل كلما مربحي من العرب اخذ من اشرافهم الايلاف ان يأمنوا عندهم وفي أرضهم فأخذوا الايلاف من مكة والشام وفي[4]، رحلتي قريش هذه يقول مطرود بن كعب الخزاعي[5].

---

١ ـ صالح العلي: محاضرات ص٩٥ ـ ٩٦.

٢ ـ اليعقوبي: تاريخ ج١ ص٢٤٢.

٣ ـ البلاذري: انساب الاشراف ص٥٩.

٤ ـ اليعقوبي: تاريخ ج١ ص٢٤٢،٢٤٣ (الايلاف: العهد).

٥ ـ البلاذري: انساب الاشراف ص٦.

ياأيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذون العهد من آفاقها والظاعنون لرحلة الايلاف

ونتج عن اشتغال المكيين بالتجارة معرفتهم بالكتابة والحساب وبالمكاييل والموازين والمقاييس وقد ورد في القرآن الكريم كثير من التعبيرات المالية والتجارية كالحساب والميزان والقسطاس والذرة والمثقال والقرض، وعرف تجار مكة نظام الامانات والودائع ونظام الصكوك وغير ذلك مما يطلبه العمل بالتجارة وكانت العملات السائدة في مكة هي الدرهم والدينار[1].

وبالاضافة الى حرفة التجارة. كان الحج من مصادر الثروة في مكة ـ فالحج الى جانب كونه مظهراً دينياً للعرب قبل الاسلام، ووسيلة للاجتماع والالتقاء والتعارف، كان وسيلة من وسائل التكسب بالتجارة، فكانت تقام في مواسم الحج اسواق تجارية وادبية مثل سوق عكاظ وسوق مجنة وسوق ذي المجاز وفي هذه الاسواق كان العرب من سائر انحاء شبه الجزيرة يقدمون بسلعهم المختلفة فيتيحون بذلك للمكيين سوقاً تجارياً للمبادلة والاستهلاك[2].

وقامت في مكة صناعات بسيطة كصناعة الاسلحة من رماح وسكاكين وسيوف ودروع ونبال، كذلك عرفوا صناعة الفخار من قدور وجفان وصحاف واباريق، وصناعة الاسرة والارائك[3].

---

١ ـ صالح العلي/ محاضرات ص٩٦، سالم: دراسات ص٥١٢، ٥١٣.

٢ ـ المرجع السابق: = نفس المرجع السابق ص٥١٣.

٣ ـ سالم/ دراسات ص٥١٢، ٥١٣.

د ـ سكان مكة:

تذكر المصادر العربية أن اقدم من حكم مكة والحجاز هم العمالقة ثم خلفتهم قبيلة جرهم القحطانية، وكان ابراهيم عليه السلام قد اسكن ولده اسماعيل مكة مع امه هاجر، فتزوج اسماعيل امرأة من جرهم، ثم زار ابراهيم عليه السلام مكة مرتين وفي المرة الثانية امره الله تعالى ببناء البيت وساعده في بنائه ولده اسماعيل الذي كان يأتي بالحجر من عدة جبال الى موضع البيت[1] وقد أشار الله تعالى الى ذلك في القرآن الكريم: (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم)[2].

ثم امر الله تعالى ابراهيم ان يؤذن في الناس بالحج فقال تعالى: (واذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)[3].

ووفدت خزاعة الى مكة بعد السيل العرم فنزلوا بظاهرها، فأبت جرهم السماح لهم بالاقامة في مكة فنشبت الحرب بينهما ثلاثة أيام انتهت بهزيمة جرهم، وتولت خزاعة أمر البيت، وكان أول من ولى البيت منهم هو عمرو بن لحي، الذي غير دين ابراهيم وادخل عبادة الاوثان فقيل انه استحضر معه من الشام اصناماً نصبها حول الكعبة.

---

١ ـ المسعودي/ مروج الذهب ج٢ ص٤٧ـ٤٩، زيدان/ العرب قبل الاسلام ص٢٧٥، على ابراهيم حسن التاريخ الاسلامي العام ص٨٧.

٢ ـ سورة البقرة ١٢٧.

٣ ـ سورة الحج ٢٧.

ياأيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذون العهد من آفاقها والظاعنون لرحلة الايلاف

ونتج عن اشتغال المكيين بالتجارة معرفتهم بالكتابة والحساب وبالمكاييل والموازين والمقاييس وقد ورد في القرآن الكريم كثير من التعبيرات المالية والتجارية كالحساب والميزان والقسطاس والذرة والمثقال والقرض، وعرف تجار مكة نظام الامانات والودائع ونظام الصكوك وغير ذلك مما يطلبه العمل بالتجارة وكانت العملات السائدة في مكة هي الدرهم والدينار[1].

وبالاضافة الى حرفة التجارة. كان الحج من مصادر الثروة في مكة ـ فالحج الى جانب كونه مظهراً دينياً للعرب قبل الاسلام، ووسيلة للاجتماع والالتقاء والتعارف، كان وسيلة من وسائل التكسب بالتجارة، فكانت تقام في مواسم الحج اسواق تجارية وادبية مثل سوق عكاظ وسوق مجنة وسوق ذي المجاز وفي هذه الاسواق كان العرب من سائر انحاء شبه الجزيرة يقدمون بسلعهم المختلفة فيتيحون بذلك للمكيين سوقاً تجارياً للمبادلة والاستهلاك[2].

وقامت في مكة صناعات بسيطة كصناعة الاسلحة من رماح وسكاكين وسيوف ودروع ونبال، كذلك عرفوا صناعة الفخار من قدور وجفان وصحاف واباريق، وصناعة الاسرة والارائك[3].

---

١ ـ صالح العلي/ محاضرات ص٩٦، سالم: دراسات ص٥١٢، ٥١٣.

٢ ـ المرجع السابق: = نفس المرجع السابق ص٥١٣.

٣ ـ سالم/ دراسات ص٥١٢، ٥١٣.

وظلت خزاعة تلي أمر البيت، أما مضر فقد احتفظت بحق الاجازة بالناس من عرفة والافاضة بهم غداة النحر الى منى[1].

ثم تشعبت بطون كنانه ومضر كلها وصاروا احياء وبيوتات متفرقة وكانوا آنذاك يقيمون بظاهر مكة، الى ان تمكن قصي بن كلاب بن مرة من انتزاع السيادة والادارة الملكية من خزاعة. ويرجع الفضل الى قصي في جمع قريش وتقسيمها الى بطون، فميز بين قريش البطاح وقريش الظواهر (واخرجهم عن نطاق الفوضى والاضطراب، وادخلهم قلب مكة فاقامهم فيها اسياداً)[2].

وقريش البطاح هي البطون التي كانت تسكن مكة نفسها، وكان بيد رجالها الادارة والوظائف الكبرى ومنهم التجار والاثرياء، وهي قبائل عبد مناف وبني عبد الدار وبني عبد العزى بن قصي وزهرة، ومخزوم وتيم بن مرة، وجمح، وسهم، وعدي، وبنو عتيك بن عامر بن لؤي[3].

أما قريش الظواهر فهي البطون التي سكنت اطراف مكة ومنهم بنو محارب، والحارث بن فهر، وبنو الاردم بن غالب بن فهر وبنو هصيص بن عامر بن لؤي، ولم يكن لهذه البطون دوراً مهما عند ظهور الدعوة الاسلامية أو بعدها الا انهم كانوا قبل الاسلام يساهمون

---

١ ـ ابن الكلبي: الاصنام، ص٢٨ المسعودي، ج٢ ص٥٦، على ابراهيم حسن: التاريخ الاسلامي العام، ص٨٨ سالم، دراسات ص٥١٤.

٢ ـ المسعودي: مروج الذهب ج٢ ص٥٨، علي ابراهيم حسن، التاريخ الاسلامي العام، ص٩٠، صالح العلي، ص١٠٥.

٣ ـ نفس المصدر ـ ـ، ج٢ ص٥٩.

في الدفاع عن مكة[1].

وبجانب هذه القبائل التي سكنت مكة كان هناك قبائل بدوية لم تكن تتمثل في النظام القائم في مكة ولم تنتظم الى قبائلها، وهؤلاء هم (الاحلاف) واغلبهم من كنانة وكانوا يشاركون اهل مكة في معظم حروبهم ويسمون (بالاحابيش)، واستوطن بمكنة ايضاً عدد من الغرباء المنتمين الى عشائر أو أمم شتى، وكثير ما سكن هؤلاء في الشعاب المحيطة بمكة، وقد ابيح لبعضهم حق دخول دار الندوة[2].

أما بخصوص تسمية قريش فقد تعددت آراء اللغويين حول هذا الموضوع، كما اختلف الاخباريون فيمن تسمى بهذا الاسم لاول مرة من بني مضر، وقد أورد اليعقوبي بعض تلك الآراء فذكر (ان النضر بن كنانة اول من سمي القريشي، لتقرشه وارتفاع همته، وقيل لتجارته ويساره، ويقال لدابة في البحر تسمى القرش، سمته امه قريشا تصغير قريش، فمن لم يكن من ولد النضر بن كنانة، فليس بقريشي[3].

أما الطبري فأجمل تلك الآراء والتفسيرات بقوله: سميت قريش قريشا بقريش بن بدر بن يخلد بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة، وبه سميت قريش قريشاً، لان عير بني النضر كانت اذا قدمت قالت العرب: قد جاءت عير قريش قالوا: وكان قريش هذا دليل بني النضر في أسفارهم، وصاحب ميرتهم.. وقال ابن الكلبي: انما قريش جماع

---

١ ـ نفس المصدر ـ ـ ص٥٩، صالح العلي محاضرات ص١٠٨.

٢ ـ صالح العلي، محاضرات ص١٠٨، ماجد: التاريخ السياسي للدول العربية ج١ ص٧٩.

٣ ـ اليعقوبي: تاريخ ج١ ص٢٣٢، ٢٣٣.

نسب، ليس بأب ولا أم ولا حاضنة. وقال آخرون: انما سمي بنو النضر بن كنانة قريشاً، لأن النضر بن كنانة خرج يوماً على نادي قومه. فقال بعضهم لبعض: انظروا الى النضر، كأنه جمل قريش... وقيل ان النضر بن كنانة كان يقرش عن حاجة الناس فيسدها بما له، والتقريش ـ فيما زعموا ـ التفتيش. وكان بنوه يقرشون اهل الموسم عن الحاجة فيسدونها بما يبلغهم... وقيل: ان النضر بن كنانة كان اسمه قريشا.. وقيل: انما قيل قريش، من أجل انها تقرشت عن الغارات، (وذكر الطبري ايضاً عن محمد بن سعد فقال: ان عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جبير: متى سميت قريش قريشاً؟ قال: حين اجتمعت الى الحرم من تفرقها، فذلك التجمع التقرش، فقال عبد الملك: ما سمعت هذا، ولكن سمعت أن قصيا كان يقال له القرش، ولم تسم قريش قبله)[1].

أما الازرقي فينسب قريش الى قصي بن كلاب، فقال: (لما جمع قصي قريشا بمكة سمي مجمعاً... ويقال انه من أجل تجمع قريش الى قصي سميت قريش قريشاً)[2].

ونخرج من هذه الآراء جميعاً ان قريشا ربما تكون اسما لأحد اعقاب النضر بن كنانة، أو انها اسم دابة في البحر، أو أنها من التقرش وهو الاشتغال بالتجارة والاكتساب أي غني ويسر الشخص المنعوت بهذا الاسم لاشتغاله بالتجارة.

---

١ ـ الطبري: تاريخ الطبري ج٢ ص٢٦٣ ـ ٢٦٥ (الجمل القرشي: الشديد).

٢ ـ الازرقي: اخبار مكة، ٦٠ ـ ٦١.

وقد عرفت قريش بعدة اسماء قبل الاسلام منها: العالمية، وقيل انها سميت بهذا الاسم لفضلهم وعلمهم، كما عرفت بآل الله وجيران الله وسكان الله، ومن أشهر اسمائها قبل الاسلام: السخينة، وقد ظل هذا الاسم ملازماً لها حتى ظهور الاسلام[1].

هـ ـ نظام الحكم في مكة:

كان اجتماع الناس واستقرارهم في مكة عاملاً لاضعاف مظاهر التكتل القبلي، وتكيف الناس الى المجتمع الجديد، وقد كان تقديس العرب للكعبة سبباً في اهتمام قريش بتنظيم الحج اليها، فترتب على ذلك ظهور انظمة سياسية ووظائف دينية اختص بها اشرافهم، وهي[2]:

الملأ :

وهو أشبه بمجلس الشيوخ، وكان يتكون من اشخاص تؤهلهم مواهبهم وقابلياتهم لقيادة الناس في الشدائد، وقد ذكر المؤرخون بعض هؤلاء كقصي بن كلاب، وعبد مناف، وعبد المطلب وهشام بن المغيرة، وقيس بن عدي بن سهم، وعبد الله بن جدعان، وابو سفيان[3]، وظهور هذه الجماعة من الرؤساء في مكة ممن اشتهر بالحرب والسياسة

---

١ ـ علي ابراهيم: التاريخ الاسلامي العام ص٩١، والسخينة نوع من الطعام يتخذ من الدقيق ويؤكل ايام القحط والشدة).

٢ ـ صالح العلي: محاضرات ص١١٠. ماجد: التاريخ السياسي ج١ ص٨١.

٣ ـ نفس المرجع السابق ـ ـ ص١٠٨ ـ ١٠٩.

والتجارة، ساعد على تأليف ما يشبه حكومة النقابات في العصور الوسطى، وحكومة الجمهورية التي يسيطر عليها أفراد قلائل، أو مجلس من الاعيان ذو الثروة والجاه[1].

دار الندوة:

كان قصي بن كلاب أول من اصاب الملك بمكة من ولد كعب بن لؤي، فلما استقامت له الامور، واطاعه الناس، بني دار الندوة، قرب الكعبة من الجهة الشمالية، فأصبحت مجتمع الملاء من قريش، وكانت أشبه بجلس شورى او دار حكومة يديرها الملاء من قريش وهي تشبه الاكليسيا في اثينا والسناتو في روما، وتناقش فيها امور الحرب والسلم ومختلف الشؤون العامة التي تهم المجتمع المكي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، (فلا ينكح رجل من قريش، ولا يتشاورن في أمر ولا يعقدون لواء بالحرب، ولا يعذرون غلاماً، الا في دار الندوة)[2].

ولم تكن للملأ سلطات تنفيذية، فكان لابد لقراراته ان تأخذ صفة الاجماع لتكون ملزمة للجميع، وكان بامكان الاكثرية اذا اقرت قراراً أن تقاطع معارضيها أو تستخدم الضغط الاجتماعي ضدهم[3].

وكان لايدخل دار الندوة من قريش او غيرهم، الا من بلغ الاربعين

---

١ ـ عبد اللطيف الطيباوي: محاضرات في تاريخ العرب والاسلام ط بيروت ١٩٦٣، ص١٢٠.

٢ ـ اليعقوبي ـ تاريخ ج١ ص٢٤٠. زيدان ـ العرب قبل الاسلام ص٢٧٧، سالم، دراسات ص٥١٥.

٣ ـ صالح العلي: محاضرات ص١١١.

سنة من عمره، عدا أولاد قصي فكانوا يدخلونهم جميعاً مع حلفاؤهم وتعتبر دار الندوة ملكاً خاصاً لبني عبد الدار يتوارثونها، ولم تكن من الابنية العامة[1].

أما عن الوظائف والمهام المتصلة بالكعبة فيذكر الطبري ان قصي (أقر للعرب في شأن حجهم ماكانوا عليه، وذلك لأنه كان يراه دينا في نفسه، لاينبغي له تغييره)[2]. وقد احتفظ قصي لنفسه بالاضافة الى رئاسة دار الندوة بالحجابة والرفادة والسقاية واللواء، أما الحجابة فكان القائم بها يمتلك مفاتيح الكعبة، ويأذن للناس في دخولها، ثم السقاية وهي التكفل بسقاية الحجاج عن طريق احواض من الادم توضع بفناء الكعبة ومنى وعرفات، والرفادة وهي (خرجا تخرجه قريش في كل موسم من أموالها الى قصي بن كلاب، فيصنع بع طعاماً للحاج يأكله من لم تكن له سعة ولا زاد ممن يحضر الموسم)[3].

واللواء هو العلم الذي يحمل في الحرب، وتدور حوله المعارك، وبالاضافة الى هذه الوظائف كانت هناك مهام أخرى تتعلق بشؤون الحرب، كالقيادة والاعنة والحكومة، أما القيادة فهي قيادة الجيش في المعارك وهي غير اللواء، وكانت بيد بني أمية[4].

أما الاعنة فيكون صاحبها المقدم على خيول قريش في الحرب،

1- نفس المصدر - ص١١٠.

2- الطبري - تاريخ الطبري ج٢ ص٢٥٩.

3- نفس المصدر - ج٢ ص٢٦٠.

4- صالح العلي - محاضرات ص١١٩.

والتجارة، ساعد على تأليف ما يشبه حكومة النقابات في العصور الوسطى، وحكومة الجمهورية التي يسيطر عليها أفراد قلائل، أو مجلس من الاعيان ذو الثروة والجاه[1].

دار الندوة:

كان قصي بن كلاب أول من اصاب الملك بمكة من ولد كعب بن لؤي، فلما استقامت له الامور، واطاعه الناس، بني دار الندوة، قرب الكعبة من الجهة الشمالية، فأصبحت مجتمع الملاء من قريش، وكانت أشبه بجلس شورى او دار حكومة يديرها الملاء من قريش وهي تشبه الاكليسيا في اثينا والسنات في روما، وتناقش فيها امور الحرب والسلم ومختلف الشؤون العامة التي تهم المجتمع المكي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، (فلا ينكح رجل من قريش، ولا يتشاورن في أمر ولا يعقدون لواء بالحرب، ولا يعذرون غلاماً، الا في دار الندوة)[2].

ولم تكن للملأ سلطات تنفيذية، فكان لابد لقراراته ان تأخذ صفة الاجماع لتكون ملزمة للجميع، وكان بامكان الاكثرية اذا اقرت قراراً أن تقاطع معارضيها أو تستخدم الضغط الاجتماعي ضدهم[3].

وكان لايدخل دار الندوة من قريش او غيرهم، الا من بلغ الاربعين

ص ٥١٥.

٣ ـ صالح العلي: محاضرات ص ١١١.

والتجارة، ساعد على تأليف ما يشبه حكومة النقابات في العصور الوسطى، وحكومة الجمهورية التي يسيطر عليها أفراد قلائل، أو مجلس من الاعيان ذو الثروة والجاه[1].

دار الندوة:

كان قصي بن كلاب أول من اصاب الملك بمكة من ولد كعب بن لؤي، فلما استقامت له الامور، واطاعه الناس، بني دار الندوة، قرب الكعبة من الجهة الشمالية، فأصبحت مجتمع الملاء من قريش، وكانت أشبه بجلس شورى او دار حكومة يديرها الملاء من قريش وهي تشبه الاكليسيا في اثينا والسنات في روما، وتناقش فيها امور الحرب والسلم ومختلف الشؤون العامة التي تهم المجتمع المكي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، (فلا ينكح رجل من قريش، ولا يتشاورن في أمر ولا يعقدون لواء بالحرب، ولا يعذرون غلاماً، الا في دار الندوة)[2].

ولم تكن للملأ سلطات تنفيذية، فكان لابد لقراراته ان تأخذ صفة الاجماع لتكون ملزمة للجميع، وكان بامكان الاكثرية اذا اقرت قراراً أن تقاطع معارضيها أو تستخدم الضغط الاجتماعي ضدهم[3].

وكان لايدخل دار الندوة من قريش او غيرهم، الا من بلغ الاربعين

---

١ ـ عبد اللطيف الطيباوي: محاضرات في تاريخ العرب والاسلام ط بيروت ١٩٦٣، ص١٢٠.

٢ ـ اليعقوبي ـ تاريخ ج١ ص٢٤٠. زيدان ـ العرب قبل الاسلام ص٢٧٧، سالم، دراسات ص٥١٥.

٣ ـ صالح العلي: محاضرات ص١١١.

والحكومة هي الاموال التي يسمونها لآلهتهم، وكانت عند ظهور الاسلام للحارث بن قيس السهمي[1].

أما عن القضاء في مكة، فلم يكن هناك وظيفة أو حاكم يفصل بين الناس، فكان رئيس القبيلة هو الحكم في المنازعات التي تنشأ بين افراد قبيلته، واذا حدث خلاف بين افراد قبائل مختلفة فكان يلجأ هؤلاء الى الكهنة او يستقسموا بالانصاب والايسار وقد عهد الى ابي بكر قبل الاسلام الاشراف على الديات والمغارم وهو ما عرف بالاشناق، الا أن الفصل في الخلافات كان يترك لتراضي الناس وموافقتهم، اذ لم تكن هناك سلطة تنفذ قرارات الحكام فأدى هذا الى غبن الضعفاء وكثرة المظلومين، الامر الذي دفع قبائل قريش الى تكوين حلف الفضول فتعاهدوا فيه على أن لايظلم بمكة غريب ولا قريب، ولا حر ولا عبد، الا كانوا معه حتى يأخذوا له حقه من أنفسهم ومن غيرهم[2].

---

١ ـ نفس المرجع ـ ـ ص١١٩.

٢ ـ احمد امين: فجر الاسلام ط بيروت ١٩٦٩، ص٢٢٧، صالح العلي ـ محاضرات ص١٢٠.

دور العرب في التجارة العالمية

تبوأت بلاد اليمن مركز الصدارة في النشاط الاقتصادي لشبه الجزيرة العربية بفضل موقعها الجغرافي فكانت اكثر بلاد العرب تحضراً وازدهاراً فشهدت ظهور ممالك عربية في عصر سابق لظهور الاسلام بقرون عديدة، وقد كان لتلك الممالك دورها في التجارة لعالمية ساعدها على ذلك الموقع الجغرافي الذي تتمتع به بلاد اليمن التي اشتهرت بتجارة العطور والبخور والطيوب والمر والكافور وغيرها، وكان لهذه المنتجات أهمية كبرى في العالم القديم حيث لقيت سوقاً رائجة في مصر. (هذا بالاضافة الى قيام أهل اليمن بتصريف منتجاتهم الوطنية. فعملوا كوسطاء للتجارة بين الهند والعراق ومصر وبلاد الشام، فعن طريق اليمن كانت لألئ الخليج العربي والتوابل والسيوف الهندية والحرير الصيني والعاج والذهب الأثيوبي تصل الى مصر والشام والعراق[1].)

(وكان الطريق التجاري البري الذي يربط بين اليمن والشام ومصر يمر بغربي تيماء طائفة تحت سيطرة تارة والسبأيين تارة أخرى الأمر الذي استلزم مرابطة طائفة من الحكام المعينيين أو السبأيين الذي كانوا يعاهدونهم على الطريق التجاري الذي تسلكه القوافل التجارية[2].)

---

١ ـ فيليب حتي، تاريخ العرب ص٥٩، سالم، دراسات في تاريخ العرب ص١٢٨.

٢ ـ موسل، شمال الحجاز، ترجمة د. عبد المحسن الحسني، الاسكندرية ١٩٥٢ ص٨٨.

وكانت الظـروف الدولية آنـذاك قـد سـاعدت حكـام معيـن علـى مـد نفوذهم التجاري خـارج بـلاد اليمـن فقد عثر على كتابـات معينيـة فـي منطقة الجـيزة بمصـر، وفـي جزيـرة ديلـوس مـن جـزر اليونـان يرجـع عهدها الى القرن الثاني قبل الميلاد، مما يدل على انتشار المعينيين فـي بـلاد واسـعة وراء تجارتهم حتـى بعـد سـقوط دولتهـم بزمـن طويـل محتفظين بنشاطهم الاقتصادي. كما عثر على كتابات معينية في منطقة أور والوركاء في العراق[1].

كذلـك اسـتفاد القتبـانيون مـن موقعهـم الجغرافـي ومجـاورتهم لحضرموت التي أشتهرت بأنتاج أجود أنواع البخور. فأشتغلوا بالتجارة، وجنوا أرباحاً كبيرة، وقد اسفرت الحفريات الأثريـة التـي أجريـت فـي موضـع كحـلان (تمنـع) عن كشف كثير من التحف المصنوعة مـن المعادن والخزف المتأثرة بالفن اليوناني، كما عثر على عملات هيلينيـة ورومانيـة[2].

(وفي عهد السبأيين اتسعت تجارة اليمن بفضل الموقع الجغرافي. فقد كانت القوافل الآتيـة من الهند وبـلاد الحبشـة والمحملـة بـأنواع الطيـب والبخور والتوابل تنقل من شواطئ الجزيرة العربية الـى مصـر والشـام والعراق، وكانت صعوبة الملاحة في البحر الاحمر تجعـل طريـق البر مفضلاً في نقل البضائع بين بـلاد الشـام، حيث يبدأ خط سير القوافـل التجارية من شبوه في حضرموت ويتجه شمالاً الـى يثرب ومنهـا الـى

---

١ - Philpy, The back ground of Islam , p. 42.

٢ - جواد علي: العرب قبل الاسلام ج٢ ص٤٣-٤٤.

مكة ثم البتراء، فغزة على ساحل البحر المتوسط[1].

وبعد الاحتلال الحبشي لبلاد اليمن في النصف الأول من القرن السادس الميلادي فقدت اليمن مركزها التجاري، واخذت قريش تأخذ المكانة التجارية التي كانت تحتلها اليمن، وقد ساعدها على تحقيق أهدافها هذه النزاع الذي اشتد بين الفرس والروم في شمال الجزيرة وما أصاب الممالك العربية على الشام والعراق من تدهور نتيجة اشتراكها في الصراع الدائر بين القوتين[2].

وقد استفادت مكة من هذه لظروف وأخذت تسيطر على التبادل التجاري بين الشمال والجنوب وعظمت قوافلها التجارية حتى بلغت القافلة الواحدة الفين وخمسمائة بعير محملة بمختلف انواع التجارة من حاصلات الهند التي ترد الى موانئ الجنوب وفي مقدمتها: الذهب والقصدير والاحجار الكريمة والعاج وخشب الصندل والتوابل، والمنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والارجوان والأنية، كما تحمل من حاصلات افريقيا الشرقية العطور والأطياب وخشب الأبنوس وريش لنعام والجلود والذهب والعاج والرقيق[3].

لقد كان تجار مكة يحملون هذه البضائع الى الشمال والجنوب في رحلات الشتاء والصيف، وكانت البضائع تفرغ في مكة ثم تخرج القوافل الى الجهات المختلفة وقد اعتمد الروم على تجارة مكة الى حد

---

١ ـ محمد مبروك نافع، عصر ما قبل الاسلام، ص٥٩.

٢ ـ احمد ابراهيم الشريف، مكة والمدينة في عصر ما قبل الاسلام وعصر الرسول، ص٢٠٥.

٣ ـ جورج فضلوا، العرب والملاحة في المحيط الهندي، مطبعة الانجلو، مصر ص٧٦.

كبير خصوصاً بعد أن احتدم الصراع بينهم وبين الفرس وسيطرت هؤلاء على التجارة الواردة عن طريق الشمال المار بخليج العرب ثم العراق، مما جعل بيزنطة تعتمد على تجارة مكة فكان لها فيها بيوت تجارية رومية تتداول التجارة للروم. كما كان فيها أحباش يرعون مصالح بلادهم[1].

وكانت القوافل التي تقصد الشام تنزل في أسواق تحددها السلطات البيزنطية لتحصل منها على الأرباح، ولتراقب الوافدين الأجانب فكانت تنزل أيله (العقبة) ومنها الى غزة حيث تتحصل بتجار البحر المتوسط، ومن غزة يذهب بعض التجار الى بصرى وبيت المقدس[2].

وبخصوص تجارة قريش مع الفرس يبدو أيضاً أنها كانت ضعيفة، كذلك لان التجارة مع بلاد فارس كانت بيد عرب الحيرة الذي كانوا يدبرون أمر وصول هذه التجارة الى اسواق العرب، وكانوا يحملون لهم من هذه الاسواق ماهم في حاجة إليه من حاصلات الجزيرة العربية. ومع ذلك فقد كانت تجارة قريش تدخل بلاد فارس عن طريق بعض القوافل التي تخرج من مكة اليها عبر الطريق الصحراوي المار بشرقي يثرب الى العراق[3]. واشار المستشرق أوليري Oleary أن مكة

---

١ - احمد امين، فجر الاسلام ص١٠.

٢ - ابن الاثير، الكامل ج٢ ص١٠.

٣ - ياقوت، البلدان ج١٠ ص٢٣٩.

أصبحت مركزاً للصيرفة يمكن أن يدفع فيها التجار أثمان السلع التي ترسل الى بلاد بعيدة. كما كانت عملية الشحن والتفريغ لهذه التجارة الدولية تتم هناك. وكذلك كان يتم التأمين على المتاجر وهي تجتاز الطرق المحفوفة بالمخاطر[1].

---

١ - Oleary Arabia before Mohammad, P. 182

صلات العرب الحضارية مع الآمم الأخرى:

١ ـ الصلات مع دول وشعوب آسيا:

تعود الصلات بين العرب ودول آسيا الى عصور قديمة، وقد أمدتنا المصادر التاريخية بمعلومات حول نشاط العرب الحضارمةُ والعمانيون التجاري مع دول آسيا حيث أصبح هؤلاء الوكلاء الرئيسيين للتجارة بيم مصر والهند، وانهم أتخذوا من ميناء اكيلا الواقع على مقربة من رأس الخيمة (مسندم) في الخليج العربي منطلقا لهم، وتتابعت هجرات عرب جنوب شبه الجزيرة العربية نحو سواحل الهند الغربية فكانت هجرة الحضارمة في القرن الرابع الميلادي من أوسع الهجرات العربية الى تلك السواحل، حيث كون العرب المهاجرون في مدينة (كوجرات) أو (قزرات) جالية كبيرة اطلق عليها الهنود اسم (عربتو Arabita). واصل العرب بعدها انتشارهم حتى بلغوا جزائر الهند الشرقية وبلاد الصين[1]

والواقع أن الصلات بين العرب ودول آسيا قد شهدت تحولات جذرية لصالح التجارة العالمية بين الطرفين ففي منتصف القرن الثالث الميلادي تحولت هذه التجارة تدريجياً من البحر المتوسط الى الخليج العربي والمحيط الهندي، ولما حل القرن السابع الميلادي الذي شهد ظهور الاسلام وقيام الدولة العربية الاسلامية اصبحت بغداد مركزاً

---

١ ـ فيصل السامر، الاصول التاريخية للحضارة العربية الاسلامية في الشرق الاقصى، بغداد ١٩٧٧ ص٩ صباح الشيخلي وعادل الالوسي، تاريخ الاسلام في افريقيا وجنوب آسيا. ص١٣٢.

للتجارة العالمية والنشاط الاقتصادي مع دول وشعوب آسيا وأصبحت البصرة و (الأبلة) منطلقاً للتجارة عبر الخليج العربي والمحيط الهندي فكانت الرحلة تبدأ بالبصرة الى الأبله عبر شط العرب الى عبادان عند مصبه حيث انشئت منارة في البحر تسترشد بها السفن مما يحتبسها ضحالة الماء وقرصان البحر، وقد قدرت المسافة بين البصرة وسيراف بحوالي (٣٦٠) ميلاً وعند سيراف هناك طريقان يوصلان الى الشرق يبدأ بالبصرة وينتهيان في (كولم ملي) كويلون الحالية في الهند احدهما يسير بمحاذاة ساحل ايران والسند والهند حتى ملابار، وهو طريق طويل يستغرق ما يزيد على الشهرين[1] أما الطريق الآخر فانه يختصر المسافة الى النصف ويبدأ من سيراف الى مسقط بعمان ومنها مباشرة الى كولم بساحل الملابار بالهند.

---

١ ـ المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص ٤٧٤

الصلات مع دول شعوب أفريقيا:

تمتد جذور العلاقات بين العرب وأفريقيا الى عصور موغلة في القدم. إذ كانت افريقية وسبه الجزيرة العربية رقعة جغرافية واحدة حتى انغلقت فهوة الارض مفصل البحر بينهما، غير أن هذا البحر على الرغم من وعورة مسالكه لم يقف حائلاً دون الاتصال بين سكان شبه الجزيرة العربية وافريقية. فقد كان من السهل على العرب اجتياز البحر الأحمر بالسفن الصغيرة خصوصاً من طرفه الجنوبي أو فيما يعرف بباب المندب حيث تقترب أفريقية من شبه الجزيرة العربية، وإذا ما أضفنا الى ذلك الجزر التي تقع في هذا المضيق أدركنا سهولة الحركة والانتقال عبر هذا الجزء[1].

والواقع ان لمضيق باب المندب وشبه جزيرة سيناء دور ملحوظ في تيسير سبل الاتصال البشري بين الجانبين حيث كانت سواحل المحيط الهندي الأفريقية والعربية تمثل نقاط تواصل مهمة بين المنطقتين من خلال الرحلات التي كانت تقوم بها السفن العربية مستغلة الرياح الموسمية لتسهيل رحلاتها، في حين أدت القوافل البرية دورها المشهود عبر شبه جزيرة سيناء[2].

وكانت بلاد اليمن وما يليها الى الشمال والجنوب مصدراً لهجرات عديدة أثرت تأثيراً بالغاً في هضبة الحبشة وأعالي النيل الازرق

---

1 - د. عبد الغني سعودين قضايا أفريقية، الكويت ١٩٨٠، ص٦٨ - ٦٩.

2 - مشرف عيسى. العلاقات العربية الافريقية، دراسة تحليلية في أبعادها المختلفة ص٩١.

وسواحل افريقية الشرقية، على ان تلك الهجرات لم تكن مقتصرة على بلاد اليمن فحسب فكان الحجاز بدورهم كانوا يعرفون الحبشة تمام المعرفة منذ عهود سبقت الاسلام بقرون عديدة.

ومما يؤكد الصلة بين سكان المنطقتين ذلك التشابه العرقي واللغوي بينهما. الأمر الذي دفع بعض الباحثين الى ترجيح الرأي القائل بان هاتين المجموعتين البشريتين قد عاشتا في موضع واحد وربما تنتميان في اصولهما البعيدة الى شعب واحد[1].

ولا شك ان هذه العلاقات والصلات العرقية واللغوية بين سكان الجزيرة العربية وسواحل أفريقية الشرقية مهما كانت درجتها تؤكد أن تبادل التأثير الثقافي بين المجموعتين ذو جذور عميقة في التاريخ. ففي العصور السابقة لظهور الاسلام كانت هناك مجموعات افريقية استقرت في بلاد العرب وانصهرت في بوتقة القبائل العربية، فلم يكن من العسير اجتياز البحر الاحمر بالسفن الصغيرة إذ لم يكن هناك مايحول دون الاتصال بين شاطئيه العربي والافريقي[2] وهكذا وجدنا الكثير من عرب اليمن يهاجرون الى السواحل الافريقية قبل فجر الاسلام بقرون عديدة. حيث انشأوا علاقات تجارية وثقافية مع كل من ساحل الحبشة وساحل الصومال وسواحل اشرق افريقية. وقد استوطن بعض هؤلاء اليمنيين مدن هذه السواحل وتزاوجوا مع أهاليها وكونوا عدداً من المستوطنات هناك، ويرى بعض الباحثين ان نقطة الانطلاق في تاريخ

---

١ ـ مشرف عيسى، العلاقات العربية الافريقية، ص٩١.

٢ ـ محمد عبد الغني سعودي، قضايا افريقية، الكويت ١٩٨٠ ص٦٨.

الحبشة تتصل اتصالاً وثيقاً بجنوب الجزيرة العربية حيث تدفق سكانها بأتجاه جبالها وسهولها الواسعة وطوروا بمرور الزمن حضارة أضافوا اليها من حضارتهم سمات كثيرة[1].

واستناداً الى المصادر التاريخية العربية القديمة فأن أصل الحبش من المنطقة الواقعة غرب بلاد اليمن حيث جبل (حبيش) الذي يمكن أن يكون لأسمه صلة بالجيش الذي هاجروا الى افريقية فيما بعد وأطلقوا اسمهم على الارض التي عرفت باسمهم (حبشت) أو الحبشة. ويستفاد من النقوش الحجرية المكتشفة الى ان قبائل عربية جنوبية هاجرت من اليمن عبر البحر الأحمر عن طريق مضيق باب المندب وجزر دهلك، وكانت وجهتها مرتفعات أرتيريا والحبشة وعلى رأس تلك القبائل النازحة وأقدمها قبيلة: الأجاعز أو جعيزان التي قامت بتأسيس مملكة على أرض الحبشة واليهم نسبت لغة الاحباش المعروفة بالجعزية أي لغة الجعز[2].

ومن الهجرات المهمة والكبيرة التي قامت بها الجماعات اليمنية الهجرة السبأية التي حدثت خلال القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد والتي رافقتها جماعة من الحبش الذين يسكنون المناطق الواقعة غرب اليمن. وقد أحدثت هجرة السبأيين الى افريقية تطوراً كبيراً في جميع ميادين الحياة في افريقية باعتبارهم اصحاب حضارة عريقة وهو

---

١ ـ نفس المصدر، قضايا افريقية، ص٦٩، صباح ابراهيم الشيخلي، تاريخ الاسلام في افريقية وجنوب شرقي آسيا، بغداد ١٩٨٩. ص١٥ـ١٦.

٢ ـ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٣ ص٤٤٩.

ماكانت تفتقر افريقية اليه في تلك المرحلة التاريخية، فقد حمل السبأيون لغتهم ونظمهم وحضارتهم ومعارفهم في فنون البحر وعلوم الفلك ومواعيد هبوب الرياح الموسمية، كما نقلوا المهارات الزراعية المتقدمة والاساليب المتطورة في بناء السدود والقناطر وإنشاء المدرجات والمسطحات على سفوح الجبال وزراعتها بالمحاصيل والاشجار[1].

ومما تجدر الاشارة اليه ان السبأيين أقاموا اعظم سد عرفته بلاد العرب في تاريخها القديم وأعني به سد مأرب الذي استند على قمتي جبل بلق الأيمن والأيسر، وأحيا الاراضي المتاخمة وجعل منها جنات تمد أهل اليمن بمختلف الثمرات. وقد أشار الله تعالى في القرآن الكريم الى هذا السد في قوله عز وجل: (لقد كان لسبأ في مسكنهم أية. جنتان عن يمين وشمال. كلوا من رزق ربكم واشكرو له. بلدة طيبة ورب غفور)[2].

وبالاضافة الى موروثهم الزراعي هذا حمل السبأيون فنونهم المعمارية التي اشتملت على نحت الحجر وبناء القصور والمعابد الفخمة التي اشتهروا بها خلال عهودهم السابقة. وادخل السبأيون الى افريقية الجمل والحصان وبعض الادوات والآت التي تستخدم في الزراعة وفي مقدمتها المحراث الذي لم يسبق لأهل افريقية أن عرفوه من قبل.

أما بخصوص العوامل التي كانت وراء هجرة السبأيين الى الساحل الشرقي لأفريقية فقد ارجعها بعض الباحثين الى عوامل اقتصادية

---

١ ـ جمال زكريا قاسم، الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ص٤٣.

٢ ـ سورة سبأ: آية ١٥.

لاسيما وأن عرب اليمن عرفوا منذ القدم بركوب البحر والاشتغال بالتجارة غير أن هناك عامل آخر ربما كان وراء تلك الهجرات السبأية ويتعلق بالظروف والاوضاع التي نجمت عن أنهيار سد مأرب وما ترتب على هذا الحدث من تدهور للأوضاع الاقتصادية في البلاد وخراب المناطق الزراعية المحيطة بالسد المذكور مما دفع السبأيين الى النزوح عن المنطقة والتفرق في البلاد حتى ضرب بهم المثل فقيل (تفرقوا أيدي سبأ) وقد ورد ذكر أنهيار السد في القرآن الكريم فقال تعالى (وأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور)[1] ... الى قوله تعالى (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق)[2]

وقد تأثرت هجرة عرب اليمن الى الساحل الافريقي على أثر سيطرة حكام مصر على الملاحة في البحر الأحمر. غير أن ذلك لا يعني أن تلك الهجرة قد انقطعت تماماً فقد ذكر بعض المؤرخين بأن العرب كانوا قد دخلوا بلاد الحبشة والسواحل المواجهة لهم فيما بين سنة ٢٣٢هـ و ٢٥٠هـ فقد ورد في المصادر التاريخية أن الأوسانيين وهم سكان حضرموت قد هاجروا الى السواحل الشرقية لأفريقية ونزلوا الارض المقابلة لجزيرتي بمبا وزنجبار التي تعرف اليوم باسم (تنزانيا) ومنها أنطلقوا نحو الجنوب وقد أشار مؤلف كتاب: الطواف حول

البحر الارتيري الى هذه المنطقة وسماها Ausaniteae نسبة أوسان كما ذكر ان هذه المنطقة كانت خاضعة في أيامه ـ القرن الاول الميلادي ـ لحكام دولة (سبأ وذو ريدان). وقد تمكن الباحثون من العثور على حجر مكتوب عليه بالسبأية في حائط كنيسة قديمة تقع بالقرب من (اكسوم) تضمنت اسم الالهة السبأية (ذو بعدن) ـ ذات البعد ـ كما عثر على بقايا أعمدة شمال شرق عدوة دلت على وجود معبد سبأي في تلك المنطقة. بالاضافة الى مذبح خصص للاله (سين). واشياء أخرى أكدت جميعها حقيقة هجرة السبأيين وسكناهم شرق افريقية[1].

ويرجح بعض الباحثين أن مملكة اكسوم الحبشية التي ظهرت أوائل التاريخ الميلادي هي مملكة أقامها العرب الجنوبيون مستندين في ذلك الى التأثيرات التي أحدثها العرب في أرض الحبشة وفي مقدمتها الأبجدية الحبشية المشتقة من الخط العربي الجنوبي. وقرب لغة الكتابة والتدوين عندهم من اللهجات العربية الجنوبية، كما عثر العلماء على أسماء آلهة عربية في الحبشة والصومال الأمر الذي يؤكد تأثر الأفارقة بالثقافة العربية الجنوبية[2].

أما الكتابات الحبشية فقد أشارت الى أن الأحباش عاشوا في جنوب الجزيرة العربية خلال القرون الأولى للميلاد، ويبدو أنهم استولوا على السواحل العربية القريبة من الساحل الافريقي حيث ورد في تلك الكتابات أن ملك اكسوم كان قد اخضع المناطق المواجهة لسواحل

---

١ ـ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٣ ص٤٥٠ـ٤٥١.

٢ ـ ممتاز العارف، ارتيريا بين احتلالين. بغداد ١٩٧٩ ص١٢ـ١٧.

مملكته وتغلب على ملوك (الأرحب)، والأرحب منطقة تقع على ساحل البحر بالقرب من ظفار، ومن المعلوم ان الاحباش كانوا قد نجحوا في فرض نفوذهم السياسي على بلاد اليمن لفترات مختلفة. كما حدث في سنة ٣٤٠م حين تعرضت اليمن لغزو حبشي خلال حكم الدولة الحميرية أسفر عن انتزاع السلطة من الحميريين وسيطرة الاحباش على البلاد، غير أن هذه السيطرة لم تستمر طويلاً إذ سرعان مانجح اليمنيون في طرد الاحباش خلال السنوات المحصورة ما بين (٣٧٠ـ٣٧٨م) وعاد ملوك حمير الى حكم اليمن حتى سنة ٥٢٥م حيث عاود الاحباش غزوهم لجنوب الجزيرة العربية متخذين من مهاجمة ملك حمير (ذو نواس) لنجران ذريعة للتدخل بحجة حماية النصارى هناك، إل أن الدافع الحقيقي لهذا الغزو هو تحقيق اهداف بيزنطة الرامية للسيطرة على الطرق التجارية الموصلة للمحيط الهندي وبسط نفوذها السياسي على العرب لمناوءة اعدائها الفرس، فأتخذت من مهاجمة ذو نواس لنجران فرصة لدفع الاحباش على غزو اليمن[1]. فروى الطبري أن قيصر الروم كتب الى نجاشي الحبشة يأمره بغزو اليمن، فأعد الأخير حملة كبيرة قوامها سبعون الف رجل نجحت في احتلال اليمن واسقاط الدولة الحميرية[2].

---

١ ـ سالم/ دراسات في تاريخ العرب، ص١٨٩.

٢ ـ الطبري، ج٢ ص١٢٤ ـ ١٢٥.